﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: 70 - 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

النّهيُ عنِ المُنكراتِ متبوعٌ بالأمرِ بالفضائلِ

لمّا نهى النّظمُ الجليلُ المؤمنين عمّا يؤذي النّبيَّ ﷺ، فنهاهم أن لا يكونوا مثلَ الذين آذوا موسى عليه السلام، أتبع ذلك بتوجيه المؤمنين بأن يتّسِموا بالتّقوى، وأن يكون قولُهم سديدًا؛ لأنّ المقصود منَ النّهي عنِ المنكرات هو التّحلّي بالمحامد[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَدِيدًا﴾: (سدّ) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى رَدْمِ شَيْءٍ ومُلاءَمَتِه، مِنْ ذَلِكَ سَدَدْتُ الثُّلْمَةَ سَدًّا، وكُلُّ حاجِزٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ سَدٌّ، ومِنْ ذَلِكَ السَّديدُ، ذو السَّدادِ، أي: الاسْتِقامَةِ؛ كَأَنَّهُ لا ثُلْمَةَ فيهِ[2]، والتَّسْديدُ: التَّوفيقُ للسّداد، وهو الصَّوابُ والقصدُ من القول والعمل، ورجلٌ مُسَدَّدٌ، إذا كان يعملُ بالسّداد والقصد[3]، والسّدادُ: الإصلاح والإيثاق، والاستقامة والإصابة في المَنْطِقِ[4]؛ والمرادُ به في الآية الكريمة: "القصدُ إلى الحق، والقولُ بالعدل"[5].

2) ﴿فَازَ﴾: (فوز) أصلٌ يدلُّ على النّجاةِ، وقولهم: فاز يفوز، إذا نجا، وهو فائزٌ، وفاز بالأمر، إذا ذهب به وخلُصَ[6]، والفوز: النّجاءُ والظّفرُ بالأمنية والخير مع حصول السّلامة، وفي التّنزيل العزيز:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 121 - 122.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سدّ).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (سدد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سدد).
(5) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 563.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فوز).

﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ [آل عمران: 188]؛ أي: بمنجاة من العذاب، ويقال: فاز إذا لَقِيَ ما يُغْتَبَطُ[1]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج: 11]، ﴿فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[2]، والمرادُ به في الآية الكريمة: النّجاةُ منَ النّار، والظّفرُ بجميع أمانيه في الدّنيا والآخرة[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول الله تعالى ذِكرُه مُناديًا الذين آمنوا وصدّقوا الله ورسولَه ﷺ: اتّقوا الله، ولا تعصوه، وقولوا في رسول الله والمؤمنين قولا قاصدًا غيرَ باطل، فإنّكم إنِ اتّقيتم وقلتم القولَ السّديدَ فإنّ الله يوفّقُكم لصالح الأعمال، فيصلحُ أعمالكم، ويعفو عن ذنوبكم، فلا يعاقبُكم عليها، ومَن يعملْ بما أمر الله تعالى به والنّبيُّ ﷺ فيطعْهما فإنّه قد ظفرَ بالكرامة العظمى منَ الله وهو الفوز والنّجاة يومَ القيامة[4].

مآلُ تقوَى المؤمنين وسدادُ قولهم حسنُ الجزاءِ في الدّنيا والآخرة

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ الآية عما قبلها:

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾؛ لأنّها مُستأنَفةٌ استئنافًا ابتدائيًّا، فلمّا نهى المؤمنين في الآية السّابقة عنِ الأذى، شرع بأمرهم بما فيه الفائدةُ والنّفعُ، والغرضُ من ذلك تقويةُ الصّارف عن ذلك الأذى، بإيراد ما يدعو إلى تركه وهو الأمرُ بالتّقوى والقولِ السّديد[5].

بعدَ النّهي عنِ الأذَى الشروعُ ببيانِ ما فيه النّفعُ والخيرُ

غرضُ النّداءِ في جملة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

افتتحَ النّظمُ البليغُ قولَه جلّ شأنُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ بالنّداء؛ وذلك لِما في النّداء منَ

نداءُ المؤمنين دليلُ عِظَمِ الشأن ووجوبِ الأمر

(1) ابن منظور، لسان العرب: (فوز).
(2) الرّاغب، المفردات: (فوز).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 335 - 336.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 421.

التّنبيه على أهمّية مضمونِ الخطاب، فيُقبلُ المخاطَبُ على حسن الإصغاء والانتباه[1].

علّةُ التّعبيرِ بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

صفةُ الإيمانِ معهودةٌ في المخاطبين

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بالاسم الموصول في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ دونَ الاسمِ الصّريح بأن يقول: (يا أيّها المؤمنون)؛ وذلك للدّلالةِ على أنّهم معهودون بالإيمان، فضلًا عن أنّ صلة الموصول تتضمّنُ علّةَ الخطاب وهو الإيمانُ، أيّ: إنّ سببَ مخاطبتِكم بالتّقوى والأمرِ بالقول السّديد هو إيمانُكم.

سرُّ إيثارِ فعلِ الإيمان وصوْغِه ماضيًا:

الإيمانُ علّةُ الأمرِ بالتّقوى والسّدادِ في القول

آثرَ النّظمُ الكريمُ النّداءَ بصفة الإيمان دونَ الإسلام في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ إيماءً إلى أنّ صفة الإيمان تقتضي الأمرَ بالتّقوى والقولِ السّديد، ففيه تعريضٌ بأنّ مَن لا يفعلُ ذلك فهو ليس من أهل الإيمان ولكنّهم منافقون[2]، والخطابُ بصفة الإسلام يشملُ مَن أسلم نفاقًا لا إيمانًا، فعُلِم بذلك أنّ الخطاب بصفة الإيمان تعريضٌ بالمنافقين، وجاء بصيغة الفعلِ الماضي إشارةً إلى تحقُّق الإيمان فيهم وصدْقِهم فيه.

دلالةُ التّعبيرِ بالتّقوى في الفعل ﴿ٱتَّقُواْ﴾:

المُتَّقي أبعدُ النّاسِ عن إيقاعِ الأذى بغيره

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بالأمرِ بالتّقوى في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تأكيدًا على وجوب الكفّ عمّا نهى عنه في الآية السّابقة، وهو أذى النّبيّ ﷺ، فالأمرُ بالتّقوى بعد ذلك النّهي حثٌّ المؤمنين على الانصراف عنِ الأذى وتركِه[3].

دلالةُ إيقاعِ فعلِ التّقوى على عنوان الألوهيّةِ:

التّذكيرُ بالجلالة أدعى لفعْلِ التّقوى

أوقعَ النّظمُ الجليلُ فعلَ التّقوى على عنوان الألوهيّة في قوله

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 122.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 122.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 421.

جلّ شأنُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ دونَ الرّبوبيّة، فلم يقل: (اتّقوا ربّكم)؛ تذكيرًا لهم بمخافةِ مَن له العظمةُ والجلالُ، فيكونُ ذلك أدعى؛ لأن يتّقوا فيصدّقوا إيمانَهم بالعمل فتكونَ لهم وقايةٌ من سخط الله تعالى[1]، فإنّ إيراد الاسم الجليل أنسبُ في بيان عِظم المأمور به والمنهيّ عنه وتنبيهٌ للسّامع على عظمة الآمر والنّاهي.

معنَى (الواو) في قوله: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾:

عطفَ النّظمُ الجليلُ الأمرَ بالقول السّديد على الأمر بالتّقوى في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾؛ للإشعار بأنّ القول السّديد هو من شُعب الإيمان، فكما أنّ التّقوى من لوازم الإيمان فإنّ القول السّديد كذلك[2].

القولُ السّديدُ والتّقوى من شُعب الإيمان

غرضُ الأمرِ بالقولِ السّديدِ:

أمرَ النّظمُ الجليلُ المؤمنين بالقول السّديد في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ للدّلالةِ على أنّ الأقوالَ الصّالحةَ والنّافعةَ واجبةٌ على المؤمنين، كإفشاءِ السّلام، وإظهارِ المحبّة بأن يقول المؤمن للمؤمن: إنّي أحبُّك في الله تعالى، وإيجابُ القول السّديد هو بابٌ عظيمٌ من أبواب الخير[3].

الأقوالُ الصّالحةُ والنّافعةُ من مقتضياتِ الإيمانِ

لطيفةُ وصفِ القولِ بالسّداد:

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بالسّداد في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ وهو لفظٌ دالٌّ على الاستقامة[4]، فهو الأقوالُ السّليمةُ الخاليةُ منَ الانحراف عنِ الحقّ، كما يسدّد الرّامي سهمَه بإتقانٍ إلى الهدف[5]، فيكون القولُ المرادُ هو القولَ

القولُ السّديدُ هو السّليمُ المستقيمُ الخالي منَ الانحراف

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 421 - 422.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 122.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 122.
(4) الرّاغب، المفردات: (سدّ).
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 252.

الصّحيحَ السّليمَ البعيدَ عن أذى النّاس واتّهامِهم والافتراءِ عليهم، والبعيدَ عنِ الجدال والمراء[1].

دلالةُ التّنكير في ﴿سَدِيدًا﴾:

كلُّ قولٍ حَسَنٍ هو قولٌ سديدٌ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ القول بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ليعمّ جميعَ ما يأتونه منَ الأقوال، فلا يخصُّ نوعًا دون نوع[2]، فيشملُ كلَّ قول حسَنٍ سديد، كإرشادٍ للنّاس بأقوال الأنبياء والحكماء، وقراءةِ القرآن، وروايةِ الحديث، وتمجيدِ اللّه تعالى والثّناءِ عليه، والتّسبيحِ وغيرِ ذلك من محاسن الأقوال التي بها تشيعُ الفضائلُ والحقائقُ بين النّاس فيرغبون في التّخلّقِ بها[3].

الغرضُ من تقديم الأمرِ بالتّقوى:

التّقوى ميزان قَبول العمل

قدّمَ النّظمُ الجليلُ الأمرَ بالتّقوى على الأمر بالقول السّديد في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ للدّلالةِ على أنّ سداد القول وصلاحَه من شُعب التّقوى، كما أنّه من شُعب الإيمان[4]، وفي التّقديم بيانٌ لأهميّة التّقوى بوصفه ميزانَ قَبولِ العمل، والهاديَ إلى صواب القول، والعاصمَ منَ الزّيغ والخَطَل.

الموقعُ البيانيُّ للجملة في صدر الآية:

صلاحُ الأعمال قرينُ التّقوى وسدادِ الأقوال

ساق النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ جوابًا للطّلب في الآية السّابقة؛ لكونه ﷺ لمّا أمر بالتّقوى والقولِ السّديد وهما من وسائل الإصلاح، فإنّه أعقبَ ذلك ببيان جزاءِ مَنْ يأتي بهما، فمن أطاع اللّه تعالى بالتّقوى والقول السّديد فإنّه تعالى يصلحُ له أعمالَه ويغفرُ له ذنوبَه[5].

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 165.
(2) الشّوكاني، فتح القدير: 4/ 353.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 122.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 122.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 22/ 123.

بلاغةُ المجازِ في جملة إصلاحِ الأعمال:

إصلاحُ الأعمالِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ مجازٌ عنِ التّوفيق؛ فاللّه تعالى وعد المؤمنين بأنّه يوفّقُهم للأعمال الصّالحة، ويَهْديهم إليها، ثمّ يُثيبُهم عليها[1]، فذكر المسبَّبَ وهو الأعمالُ الصّالحة، وأراد السّببَ وهو توفيقُه تعالى لذلك؛ فاللّه تعالى لا يُصلح فاسدَ الأعمال ممّا اكتسبت أيدي العباد، ولكنّه يوفّقُ عبده؛ لأن يأتي بالأعمالِ الصّالحة، وإنّما أورد ذلك على سبيل المجاز لبيان أثرِ نعمتِه وتوفيقِه تعالى بأنّه هو الذي يُصلحُ الأعمالَ، تنبيهًا للمؤمنين على عظيم نعمائِه عليهم.

إصلاحُ الأعمالِ أماراتٌ على التّوفيق والهدى

وجهُ التّعبيرِ عنِ الإصلاح بالمضارع:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ الإصلاح بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ للدّلالةِ على استمراره ودوامِه، فإنّ صلاح العمل يلزمُ التّدريجَ، فيقعُ شيئًا بعد شيء حتّى يكون على أتمّ وجهٍ[2].

تجدّدُ إصلاحِ الأعمالِ وتدريجُهُ وجهٌ للثّباتِ

معنَى (اللام) في القيد ﴿لَكُمْ﴾:

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وهي دالّةٌ على الاختصاص، أي: يخصُّكم بهذا الإصلاح، فهو إكرامٌ لهم على سداد القول.

نكتةُ تقديمِ الإصلاحِ وتقييدِه بالقيد ﴿لَكُمْ﴾:

قيّد النّظمُ الجليلُ الإصلاحَ بشبْهِ الجملة ﴿لَكُمْ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ دون أن يقول: (يصلح أعمالكم)؛ وذلك للدّلالةِ على عنايتِه تعالى بالذين يتّقونه ويقولون القولَ السّديد، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: 1][3].

إظهارُ عنايةِ اللهِ تعالى بالمؤمنين من تمام الإكرام

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 117، والشّوكاني، فتح القدير: 4/ 353.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 123.

دلالةُ جمعِ ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ وإضافتِه إلى ضميرهم:

من كرمِ الله تعالى إصلاحُهُ جميعَ الأعمال التي قدَّمَتْها أيديهم

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ الأعمال بصيغة الجمع في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ للدّلالةِ على أنّه تعالى يُصلحُ جميعَ أعمالهم، فالجمعُ يتناول أعمالَ كلِّ واحد منَ المؤمنين، وأضافها إلى ضمير المخاطَبِ للدّلالةِ على الأعمال التي تنسبُ إليهم، أي: أعمالكم التي تأتونها وتقومون بها، والتي تُهمّكم بحيث إنّها تُنسبُ إليكم، فالله تعالى يصلحُ هذه الأعمالَ تكريمًا منه ومباركةً بالقول الصّالح السّديد.

معنَى (الواو) في قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾:

بركةُ التّقوى تعمُّ إصلاحَ الأعمال ومغفرةَ الذّنوب

عطفَ النّظمُ الجليلُ مغفرةَ الذّنوب على إصلاح الأعمال في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ للدّلالةِ على أنّ التّقوى المأمورَ بها تكونُ سببًا في إصلاح الأعمال، وكذلك سببًا في مغفرة الذّنوب[1].

دلالةُ التّعبيرِ بلفظِ المغفرةِ مضارعًا:

سترُ الذّنوبِ ومحوُها إكرامٌ منَ الجليل لعباده المتّقين

عبّرَ النّظمُ البليغُ بلفظ المغفرة في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ للدّلالةِ على سترِ الله تعالى ومحْوِه ذنوبَ المؤمنين، فالله تعالى هو السّاترُ لذنوب عباده المُتجاوزُ عن خطاياهم وذنوبهم[2]، ومغفرةُ الذّنوب منه تعالى هي أن يصون العبدَ من أن يمسّه العذابُ[3]، وآثر النّظمُ التّعبيرَ عن ذلك بالفعل المضارع للدّلالة على دوام مغفرتِه تعالى تفضّلًا منهُ، ومنّةً.

معنَى (اللّام) في القيد ﴿لَكُمْ﴾:

مغفرةُ الذّنوب تكريمٌ للمؤمنين

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنُه:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 123.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (غفر).
(3) الرّاغب، المفردات: (غفر).

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وهي هنا دالّةٌ على الاختصاص والتّعليل، أي لأجلكم خاصّةً، وهذا غايةُ التّكريم والرّحمة أن يتجاوز الله تعالى عن ذنوب عباده من أجلهم، وفائدةُ هذه المغفرة تعود على وجه الخصوص للمؤمنين، وليس لله تعالى منها منفعةٌ، فهو الغنيّ عن عباده.

فائدةُ تقديمِ القيد ﴿لَكُمْ﴾:

من جميلِ العطاءِ تخصيصُه بالمخاطَب

قدّمَ النّظمُ الجليلُ شبْهَ الجملة منَ الجارّ والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ على المفعول به في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فلم يقل: (ويغفر ذنوبكم لكم)؛ للدّلالةِ على اختصاص هذه المغفرة بهم، أي: يغفر لكم خاصّةً[1].

سرُّ إيثارِ التعبير بقوله: ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾:

يَمحو الله تعالى عواقبَ الأعمال يومَ العرضِ عليه للحساب

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الذّنْب دونَ غيره كالمعاصي والآثام في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ لأنّ الذّنب يتعلّقُ بعاقبة الفعل؛ فالذَّنْبُ هو الأخذ بذنَبِ الشّيء، ويُستعملُ في كلّ فعل يُستوخمُ عقباه اعتبارًا بذنَب الشّيء، ولهذا يسمّى الذَّنْبُ تبعةً، اعتبارًا لِما يحصلُ من عاقبته[2]، والإثم اسمٌ للأفعال المُبطئةِ عنِ الثّواب[3]، أمّا المعصيةُ فهي نقيضُ الطّاعة[4]، فعبّر في الآية بالذّنوب؛ لأنّها تتعلّق بالمغفرة؛ نظرًا إلى دلالة الذّنب على عاقبة الفعل، فالمغفرةُ تكون لِما يعقبُ ذلك الفعلَ منَ العقاب، فعفا الله تعالى عنهم أن يعاقبهم، فالمؤمنون أطاعوا الله تعالى، ولكنّهم غيرُ معصومين منَ الوقوع في الخطأ والسّوء.

نكتةُ جمع (الذنوب) وإضافتِها:

من وجوهِ فضلِ المنّانِ محوُ ذنوبِ أهلِ الإيمان

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ الذّنوب بصيغة الجمع في قوله

(1) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 22/ 41.
(2) الرّاغب، المفردات: (ذنب).
(3) الرّاغب، المفردات: (أثم).
(4) الرّاغب، المفردات: (عصا).

جلّ شأنُه: ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ للدّلالةِ على أنّه تعالى يغفرُ لهم جميعَ ذنوبهم؛ ولذا لم يقل: (من ذنوبكم)[1]، فمغفرةُ الذّنوب تكون على سبيل الاستقصاء تفضّلًا منه تعالى، وإضافةُ الذّنوب إلى ضمير المخاطَبين يدلُّ على أنّ تلك الذنوبَ هي الذّنوبُ التي صدرت منكم[2]، فيكون ذلك أظهرَ للامتنان.

لطيفةُ تَكرارِ القيد ﴿لَكُمۡ﴾:

كرّرَ النّظمُ الجليلُ القيدَ بشبْهِ الجملة ﴿لَكُمۡ﴾ مع فِعْلَي الإصلاح والمغفرة في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ للدّلالةِ على عظيم عنايتِه تعالى بهم، وتأكيدًا لاختصاصِهم بذلك الامتنان، ففي التّكرارِ ترسيخٌ وتقرير، وإظهارٌ للمنّة والفضل.

نكتةُ تقديمِ إصلاحِ الأعمال على مغفرةِ الذنوب:

مَن يجتهد في إصلاح عملِه يُكافأ بغفران ذنبِه

قدّمَ النّظمُ الجليلُ إصلاحَ الأعمال على مغفرة الذّنوب في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾؛ لأنّ العمل الصّالح هو السّببُ الذي لأجله تقعُ المغفرةُ، فقدّمه من باب تقديم السّبب على المسبَّب.

بلاغةُ النّشرِ في الآية:

من جمال التّعبيرِ ترتيبُ الجزاء على عكس ترتيبِ الأوامر

أورد النّظمُ الجليلُ المذكوراتِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ نشرًا على عكس اللّف، ففي الآية أمران وجزاءان، "فإصلاحُ الأعمال جزاءٌ على القول السّديد؛ لأنّ أكثر ما يفيدُه القولُ السّديد إرشادُ النّاس إلى الصّلاح أو اقتداءُ النّاس بصاحب القول السّديد، وغفرانُ الذّنوب جزاءٌ على التّقوى"[3].

(1) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 22/ 41.
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: 2/ 166.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 123.

معنَى (الواو) في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾:

من تمامِ الجزاءِ الوعدُ بالفوزِ عندَ تحقيقِ الطّاعةِ

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾، أي: وتفوزوا فوزًا عظيمًا إذا أطعتم[1]، وتصلحُ الواو أن تكون استئنافيّةً[2]، فالجملةُ مُستأنَفةٌ استئنافًا للتّقرير، فقرّرتِ الجزاءَ بإصلاح الأعمال ومغفرة الذّنوب المُترتّبَ على التّقوى والقولِ السّديد، فإنّ مَن يأتي بالطّاعة المأمورِ بها بأن يتّقيَ ويُحسنَ القولَ فإنّه قد فاز الفوز العظيم.

دلالةُ (مَنْ) في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ﴾:

كرمُ المنّان لا يحدّهُ حدٌّ بدلالةِ العمومِ والشّرط

عبّرَ النّظمُ الجليلُ باسم الشّرط (مَنْ) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ وهو اسمٌ دالٌّ على العموم، فيفيدُ أنّ الحُكم شاملٌ لكلِّ مطيعٍ ولكلّ طاعةٍ، فليس الحكمُ مخصوصًا بأهل زمان، ولا بفئة منَ الأعمال، وجاء التّعبيرُ باسم الشّرط دون غيره لِما في مضمون الشّرط من تأكيدٍ على وقوع الوعد وتحقّقه، فإنّ الفوز العظيم واقعٌ لا محالةَ إذا جيء بالطّاعة.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل ﴿يُطِعِ﴾ مضارعًا:

دوامُ إتيانِ المأمورِ به واجتنابِ المنهيّ عنه سبيلٌ للفوز العظيم

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الطّاعة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾؛ للدّلالةِ على أنّه يفعلُ جميعَ الأوامر والنّواهي، والتي من جُملتها التّقوى والقولُ السّديد، أي: أنّه يفعل جميع الطّاعاتِ، أو أكثرَها[3]، وجاء التّعبيرُ بصيغة الفعل المضارع للدّلالةِ على أنّه يجدّد الطّاعةَ لله ورسوله في كلِّ وقت[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 123.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 196.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 312.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.

نكتةُ إيثارِ الاسم الجليلِ مع ذِكْر الطّاعةِ:

إنّما يتّقي المتّقون ويمتثلُ المُطيعون لمعرفتِهم بجلالِ الله تعالى

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ تنبيهًا على شدّة لزومِ الطّاعة ووجوبِها، فهي طاعةٌ للإله الذي لا أعظمَ منه[1]، وإيماءً إلى أنّ الطّاعةَ حصلت منهم لمعرفتهم بعظمةِ إلههم وجلاله، فهو الإله العظيم ذو الجلال والإكرام.

دلالةُ عطفِ الرّسول على الله تعالى:

طاعةُ الرّسولِ من تمامِ طاعةِ الله تعالى

عطفَ النّظمُ الجليلُ لفظَ الرّسولِ على اللّه تعالى في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بيانًا بأنّ عظمةَ النّبيّ ﷺ فرعٌ عن عظمةِ اللّه تعالى[2]، وتعظيمًا لشأن طاعته ﷺ، وأنّ الفوز في الدّار الآخرة متوقّفٌ على وقوع كلا الطّاعتيْن؛ طاعةِ اللّه تعالى وطاعةِ النّبيّ ﷺ.

دلالةُ التّعبيرِ بـ(رسوله) دون (نبيّه):

الرّسولُ لفظٌ يصرّحُ بتحمّلِ رسالةٍ وشريعةٍ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الرّسالة دونَ النّبوّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾؛ للدّلالةِ على أنّه مبعوثٌ برسالةٍ، وأنّ الطّاعة المذكورة واقعةٌ فيما تضمّنته تلك الرّسالةُ من تعاليمَ وأوامرَ ونواهٍ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾:

عظمةُ النّبيّ ﷺ صادرةٌ من عظمة الله تعالى

أضافَ النّظمُ الجليلُ لفظَ الرّسول إلى ضمير الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ تعظيمًا للنّبيّ ﷺ، وإشارةً إلى أنّ عظمته من عظمة اللّه تعالى[3]؛ لأنّه تعالى هو الذي أرسله واختاره لتحمُّل الرّسالة، فهو منتسبٌ إلى اللّه تعالى، وهذه رتبةٌ ومكانةٌ ساميةٌ رفيعةٌ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.

معنَى (الفاء) في قوله: ﴿فَقَدۡ فَازَ﴾:

الفوزُ العظيمُ نتيجةٌ للطّاعة السّابقة

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الفاء الدّاخلِ على (قد) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ وهي هنا الفاءُ الرّابطةُ لجواب الشّرط بفعله[1]، فجيء بها للدّلالةِ على أنّ ما بعدها جوابٌ للشّرط الذي سبقها، فربطت آخرَ الكلام بأوّله، ورتّبتِ النّتيجةَ على السّبب، أي: أنّ مآل الطّاعةِ الفوزُ العظيمُ.

معنَى (قد):

سَوقُ ما يدلّ على تحقُّق الوعدِ الرّبّانيّ تنشيطًا للسّامعين

أدخلَ النّظمُ الجليلُ حرفَ التّحقيق (قد) على الفعل الماضي في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ للدّلالةِ على تحقيقِ الفوز وتأكيدِه[2]، وفائدةُ التّأكيد هنا تأكيدُ تحقُّقِ الوعد تنشيطًا للسّامعين وإلهابًا لهم.

دلالةُ التّعبيرِ بالفوز فعلًا ماضيًا:

الفوزُ الحقيقيُّ يتحقّقُ بدخول الجنّة والنّجاةِ منَ النّار

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ الفوزِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ لدلالته على الظّفر بالخير مع حصول السّلامة[3]؛ تعبيرًا عن نجاتهم منَ النّار، مع حصولهم على ما يتمنّون وظفَرِهم به[4]، وصوغُه على هيئة الماضي يُظهرُه مُتحقّقًا واقعًا.

نكتةُ تقييدِ فعْلِ الفوزِ بالمفعولِ المُطلق:

تأكيدُ تحقُّقِ الفوزِ وحدوثِه تشجيعٌ على الطّاعة

قيّد النّظمُ الجليلُ فوزَ مَن يطيعُ اللّه تعالى ورسولَه ﷺ بالمفعول المطلق في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾؛ تأكيدًا لحدوث الفوز وتحقُّقِه[5]، فهو فوزٌ لا فوزَ بعده، ولا أعلى منه، والغرضُ من تأكيد ذلك الفوز تشويقٌ وإلهابٌ للسّامع وحثٌّ له على الطّاعة.

(1) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 22/ 41.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثّري الجامع: 22/ 41.
(3) الراغب، المفردات: (فوز).
(4) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 22/ 41.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.

نكتةُ وصفِ الفوزِ بالعظيم:

مقامُ الفوز بالجنّة في المرتبة العليا منَ العظمة والسُّموّ

وصفَ النّظمُ الجليلُ الفوزَ بكونه عظيمًا في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾؛ للدّلالةِ على أنّه في الغاية العليا منَ القدر والمكانةِ الرّفيعة التي لا يبلغُها أحدٌ[1]، وجاء الوصفُ نكرةً بصيغة المبالغة على وزن (فعيل) للمبالغة في عظمته، فليس هناك فوزٌ أعظمُ منه[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السَّداد والصّواب:

السّديدُ قولٌ مستقيمٌ ملائمٌ، أمّا الصّوابُ فهو صحيحٌ نقيضُ الخطأ

السّديدُ أصلُه يَدُلُّ عَلَى رَدْمِ شَيْءٍ ومُلاءَمَتِه، والسَّديدُ، ذو السَّدادِ، أي: الاِسْتِقامَة؛ كَأَنَّهُ لا ثُلْمَةَ فيهِ[3]، وهو: الإصابةُ في المَنْطِقِ، يقالُ: إنه لَذو سَدادٍ في مَنْطِقِهِ وتَدْبيرِهِ[4]، أمّا الصّوابُ فهو من (صوب) وأصلُه يدلّ على نُزولِ شَيْءٍ واسْتِقْرارِهِ قَرارَهُ، مِنْ ذَلِكَ الصَّوابُ في القَوْلِ والفِعْلِ، كَأَنَّهُ أَمْرٌ نازِلٌ مُسْتَقِرٌّ قَرارَهُ، وهوَ خِلافُ الخَطَأ[5]، فالقول غيرُ السّديد هو القول غيرُ المستقيم، وغيرُ الملائم، أمّا الصّوابُ فهو خلافُ الخطأ، ولمّا كان المرادُ بالسّديد في الآية الكريمة: "القصد إلى الحقّ، والقول بالعدل"[6] ناسب إيثارُه في سياق الآية؛ لأنّ الله تعالى قد أمرَهم في الآية بالقول السّديد لتكون أقوالُهم ملائمةً مقبولةً قاصدةً للحقّ والعدل، وهي الوصيّةُ المناسبةُ للآداب في القول، وليس المرادُ القولَ المصيبَ الذي يخالف الخطأ الذي هو أنسبُ بالعلم والحُكم.

الفوز والنّجاة:

الفوزُ نجاةٌ وظفرٌ بالمطلوب

الفوزُ: أصلٌ يدلُّ على النّجاةِ، وفاز بالأمر، إذا ذهب به وخلُص[7]،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 117.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 22/ 41.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سدّ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سدد).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صوب).
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 563.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فوز).

والفوز: النّجاةُ منَ الشّرّ، والظَّفَرُ بالأمنيّة والخير مع حصول السّلامة، ويقال: فاز إذا لَقيَ ما يُغْتَبَطُ[1]، أمّا النّجاةُ فأصلُها يدلّ على كشْطٍ وكشفٍ وانفصال منَ الشّيء، وهو قرينُ السّرعةِ وفيه معنى الذهاب والانكشاف منَ المكان، والنّجوةُ منَ الأرض، وهي التي لا يعلوها سيلٌ بذهابه عنها، ثمّ أطلق على كلّ خلاص، كقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النمل: 53] أي خلّصناهم[2]، وممّا ذُكِرَ فالفوز يجمع بين النّجاة منَ الشّرّ والفوز بالمطلوب، فعبّر به في الآية للدّلالةِ على النّجاة منَ النّار، والظّفَرِ بجميع الأماني في الدّنيا والآخرة مع السّلامة[3].

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (فوز).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نجو).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 422.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»